العم نادر

ورحلته الإبداعية للأطفال

مرت الذكرى الثانية على رحيل كاتب الأطفال الكبير نادر أبو الفتوح فى هدوء شديد دون أن يتذكره أحد، كنت فى مدينة رأس البر بدمياط وبالتحديد فى منزل الصديق سمير الفيل، عندما تلقيت خبر وفاته عبر محادثة تليفونية من رسامة الأطفال المبدعة رشا منير، هالنى ما سمعت وكدت لا أصدق، فقد كان بالأمس القريب معنا، أقصد مع شعبة أدب الأطفال باتحاد كتاب مصر، فقد كان رحمه الله فى آخر لقاءاته يبدو أكثر تحمساً وأكثر حيوية منا نحن الشباب، يناقش القضايا المرتبطة بالطفولة بوعى وإدراك عميقين، ويبدى وجهة نظره بحماسة وانفعال طفولي.

حينما كنت طفلا صغيراً بقريتى النائية بشمال دلتا مصر بكفر الشيخ، تلك القرية التى كانت لا تعرف من وسائل الترفيه فى ذلك الوقت سوى الراديو، وكنت مداوما على سماع برنامج "غنوة وحدوتة" الذى كان يبهرنا نحن الصغار بأغنيته الخفيفة الجميلة التى كانت تقول على ما أذكر: "ياولاد. ياولاد، قولوا معانا، هتغنى لنا وهتحكى لنا، أبله

فضيلة، أبله أبله، أبله فضيلة"، والتى كانت هى الأخرى أعنى "أبله فضيلة" تبهرنا بصوتها الساحر، وقدرتها الفائقة على الحكى بأسلوب مشوق وجذاب، ظللت أستمع إلى هذا البرنامج وبرامج أخرى مثل برنامجى "للصغار فقط"، "عالم أطفال" سنوات وسنوات من العمر، وأنا لا أعرف من يكتب هذه البرامج الرائعة والمسلية والمثقفة على الرغم من ذكر اسمه وكنت أتصور أن الذى يكتب ويحكى هى أبله فضيلة، فمن المعروف أنه لا يدخل فى اهتمامات الطفل فى تلك المراحل الأولى من العمر من يكتب تلك الحكايات أو حتى القصص المنشورة فى كتب، إلا بعد أن غادرت مرحلة الطفولة، إلى مرحلة المراهقة، وبدأت تتسع مداركى وتتنوع قراءاتي، وقتها عرفت أن كاتب هذه الحلقات الذى أمتعنا بها سنوات وسنوات هو الكاتب: نادر أبو الفتوح، ولم أكن أتوقع أو يدر بخلدى فى يوم من الأيام أن أكون صديقاً لهذا الكاتب الكبير الذى نذر كل عمره لكتابة الأطفال.

كانت أول علاقتى به فى صيف عام ٢٠٠٣ حينما تولى الفنان عبد الرحمن نور الدين، رئاسة تحرير مجلة قطر الندى، وكلفه وقتها بكتابة باب ثابت للمجلة، واستجاب على الفور، وبعدها بيوم أو اثنين أتى إلى مقر المجلة حاملاً بعض الحلقات التى كتبها للباب الذى أسماه "كلام عيال" ورشح الفنانة الجميلة: ريم هيبة لرسمه، وكان بابا جديداً فى مضمونه على صحافة الطفل، تعرفت إليه فى تلك

الأثناء، وظلت تربطنا علاقة حب واحترام وتقدير، وكان رحمه الله حريصاً على إبداء رأيه فى كل ما أكتبه للمجلة وللمجلات الأخرى، خاصة مجلة "تاتا تاتا" التى كانت تصدرها الكاتبة فاطمة المعدول، عن المركز القومى للأطفال وقت أن كانت رئيسة له، وكانت المجلة موجهة لأطفال ما قبل المدرسة والتى جمعت عددا كبيراً من شباب وكبار كتاب ورسامى الأطفال فى مصر، أمثال: مجدى نجيب، صلاح بيصار، إيهاب شاكر، سميرة شفيق، محسن رفعت، رشا منير، ريم هيبة وغيرهم. ولم تتوقف علاقتى بالعم نادر عند هذا الحد، بل زاملته فى شعبة أدب الطفل بالاتحاد، واشتركت معه ضمن من شاركوا فى مؤتمر الطفل الأفريقي، الذى عقده المجلس الأعلى للثقافة عام ٢٠٠٤ بورقة بحثية بعنوان "إشكالية الكتابة للأطفال"، وكنا أقرب ما نكون فى تلك الفترة، نتناقش فى كل أمور وأحوال الكتابة للأطفال، وجرت فى النهر مياه كثيرة، ولم يبق الحال على ما هو عليه فقد حدث أن اختلفت مع الراحل ذات يوم فى إحدى الندوات التى أقامتها شعبة أدب الأطفال باتحاد الكتاب التى كان يرأسها الشاعر الكبير أحمد سويلم، وانفعلت عليه لأنه عقب على كلامي، وأراد أنا ينال منى بشكل تهكمي، ولكننى تصديت له وعقبت على ما قال، وخرجت بنتيجة أرضتنى رغم مقاطعة المنصة لى أثناء حديثي، لم أعرف سبباً واضحاً لهذا الهجوم المفاجئ والمباغت، فقد كانت تربطنى

بـه علاقـة طيبـة، وكنـت علـى يقـين مـن أن الاختـلاف فـى الـرأى لا يفسـد للـود قضيـة، ولكـن أن يصـل الخـلاف إلى التجريـح فقـد أفسـد العلاقـة بينـى وبينـه لأكثـر مـن عامـين، إلى أن جـاء فـى زيـارة إلى المجلـة فـى ظـل رئاسـة تحريـر جديـدة كلفتـه باسـتئناف بابـه "كلام عيـال" الـذى كان قـد توقـف لأكثر مـن عامـين، فـإذا بـه يدخـل إلى مكتـب رئيـس التحريـر فـى وجـودى وبصحبـة الفنـان محسـن رفعـت، فـإذا بـه يناوشـنى فاحتـددت عليـه فـى حـدود الأدب، فـإذا بـه يبتسـم ويقـف ليحتضننـى ويتأسـف عمـا بـدر منـه تجاهـي، وقتهـا خجلـت مـن نفسـي، وتمنيـت لـو كنـت أنـا الـذى قـد بـدأت الصلـح، وظلـت علاقتنـا طيبـة إلى أن صالحنـى مـرة أخـرى علـى الملأ فـى جمعيـة الأدبـاء قبـل وفاتـه بشـهر فـى لقـاء جمعنـى بـه وبعـض كتـاب الأطفـال وفـى حضـور الكاتـب الكبـير عبـد التواب يوسـف، والشـاعر أحمـد سـويلم وآخريـن، ولم أراه مـن يومهـا إلى أن علمـت بخـبر وفاتـه، وقلـت بينـى وبـين نفسـى لعلـه كان يشـعر بدنـو أجلـه فـأراد أن يتصـالح مـع الدنيـا، ليقابـل وجـه كريـم، وهـو خـالى الوفـاض إلا مـن تاريخـه المشـرف وإبداعاتـه الثريـة التـى علمـت أجيـالا وأجيـالاً ومـا زالـت حتـى الآن.

رحـم اللّه العـم نـادر أبـو الفتـوح وأسـكنه فسـيح جناتـه، الـذى رحـل عـن عمـر يناهـز الرابعـة والسـبعين، فهو مـن مواليد المنصـورة عـام ١٩٣٥، وتـدرج فـى التعليـم حتـى حصـل علـى ليسـانس الآداب قسـم صحافـة مـن جامعـة القاهـرة عـام ١٩٦٤،

وتدرج فى المناصب حتى رأس قسم الصحافة بالمجلس الأعلى لرعاية الشباب، وأشرف على البرامج الاجتماعية بتليفزيون دبي، وشارك فى العديد من المؤتمرات والندوات التى أقيمت عن الطفل منذ عام ١٩٦٨ وحتى رحيله، وقد كرس حياته الإبداعية فى الكتابة الإذاعية والتليفزيونية للأطفال بدأها عام ١٩٦٤ ببرنامج "للصغار فقط" بإذاعة الشرق الأوسط، وتبعه ببرنامج "غنوة وحدوتة" وبرنامج "فانتستيكا" والعديد من الأعمال التليفزيونية للأطفال مثل: عروسة المولد، مشمش وعرفان، بيب بوم، صاحب السعادة الطفل، على ورق الفل، ألوان، سبع سبعات، قشة فى عشة، وغيرها الكثير، وقد حاز العديد من الجوائز فى مسابقة الإذاعة والتليفزيون، وحاز جائزة الدولة التشجيعية فى الآداب.

لم يلتفت العم نادر إلى إصدار الكتب إلا فى أخريات حياته، وقد اعترف ذات مرة فى إحدى ندوات شعبة أدب الطفل باتحاد الكتاب أن الذى لفت نظره لإصدار إبداعاته فى كتب هى الكاتبة الكبيرة سلوى عناني، وقد أصدر عدة كتب للأطفال، منها: مذكرات طفل عجوز وغيرها من الكتب.

وذات يوم جلست أفكر لو لم يحبس نادر أبو الفتوح موهبته الشاعرة فى الكتابة للأطفال، أعتقد أنه كان سيصبح من كبار شعراء وكتاب الأغنية فى مصر، ولكنه اختار الطريق الصعب والمحفوف بالمخاطر عن حب وتفان وإنكار للذات، ولعلمه بأن كاتب الأطفال فى بلد مثل مصر مازال

يعامل على أنه كاتب يكتب لحفنة من الصغار، ومازال الطريق أمامه طويلا لكى يكتب للكبار، ولو أنهم جربوا هذه الكتابة وتعذبوا بها لعرفوا مدى صعوبة ومتعة هذه الكتابة.

obeikandl.com

★ نشرت فى جريدة القاهرة فى ١٠ نوفمبر ٢٠٠٩

★ نشر فى أخبار الكتاب فى نوفمبر ٢٠١٠